أدب الاخوانيات في الشعر العراقي الشيعي في القرن السابع الهجري (دراسة في تأويل النص الشعري وجمالياته)

م.د جنان فاضل علي

مديرية تربية النجف الأشرف

الملخص

يعد الشعر وسيلة من الوسائل المهمة في تخليد الأفكار والأحداث التي تشكل هوية الأمة وتحدد ملامحها الفكرية والثقافية في إطار الحقبة التاريخية التي ينبثق منها , فضلا عن امتداد الحقب التاريخية التي تسبقه بغية التواصل الأدبي والفكري والتطور الحضاري المشترك بينهما والذي تقرره طبيعة المجتمع , وما تتعرض إليه من أحوال , ولقد ظفر تراثنا الأدبي العربي الشيعي في القرن السابع الهجري في العراق بشعراء يتمتعون بمواهب شعرية , بذلوا كل ما بوسعهم على حفظه وصيانته من التلف والدمار, وبرغم الظروف والأحوال السياسية والاجتماعية التي عاشوها فكانوا سببا في نهضته وتخليده , ,أما منهج البحث فقد ساهمت في اختياره عدة اعتبارات , تقف في طليعتها رغبتي الملحة في خدمة التراث الأدبي الشيعي الذي حمل في طياته نضارة مشرقة لا يخفى نورها على الألباب مدى الحقب والأعوام , ولكي تستقيم خطوات البحث كان لزاما الإبحار في كتب الأدب والدواوين والغوص في مكنوناتها, ولما كان البحث يهدف إلى تأويل النص الشعري وجمالية التعبير الفني , فقد اقتضى ذلك أن تكون النماذج الشعرية للكوكبة البارزة من شعراء العصر , وقد قام البحث (ادب الاخوانيات في الشعر العراقي الشيعي في القرن السابع الهجري دراسة في تأويل النص وجمالياته) بمقدمة وتمهيد تناولت فيه مفهوم ادب الاخوانيات ومن ثم تناولت انواعه في مباحث عدة , نذكر منها : المراسلات والتهاني والمساجلات والاعتذار وقد تكفلت جميعها بإبراز دور الشعراء الواضح فيما أسهموا من إبداع وتطور في حركة الشعر العربي , ثم ختمت هذه الدراسة بخاتمة أوجزت فيها ما توصلت إليه من نتائج ,أهمها :ما مثله شعراء هذه الحقبة الامتداد الطبيعي للشعر العربي في جميع عصوره في المضامين والافكار التي طرقوها ضمن اشعارهم اذ صور الشعراء في هذا اللون الشعري العلاقات الاجتماعية ومناسباتها المتنوعة, وقد سخر الشعراء مواهبهم وثقافتهم في بث الاحاسيس والمشاعر الصادقة في انتعاش الحركة الأدبية آنذاك .

Poetry is one of the important means in perpetuating the ideas and events that constitute the identity of the nation. In the seventh century AH in Iraq, poets with poetic talents have done their best to preserve and preserve it from damage and destruction, and despite the political and social conditions they lived in, they were the cause of its renaissance. The research methodology has contributed to the selection of several considerations, at the forefront of which is my urgent desire to serve the Shiite literary heritage, which carries with it a bright freshness that does not hide its light on the kernels over the ages and years. In its components, since the research aims to interpret the poetic text and aesthetic artistic expression, it required that the poetic models of the constellation of the poets of the era, this research dealt with the literature of the Muslim Brotherhood in Iraqi Shiite poetry in the seventh century AH, and the research introduction and several axes, have all ensured By highlighting the role of poets This study concluded with a conclusion summarizing its findings, the most important of which are: What the poets of this era represented the natural extension of the Arabic poetry in all its ages in the contents and ideas that they put in their poetry. This poetic color social relations and various occasions, poets have ridiculed their talents and culture in the transmission of feelings and sincere feelings in the revival of the literary movement at the time.

أدب الاخوانيات في الشعر العراقي الشيعي في القرن السابع الهجري (دراسة في تأويل النص الشعري وجمالياته)

م.د جنان فاضل علي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد(صلى الله عليه وآله) وعلى أهل بيته الائمة الأطهار, وصحبه الأخيار, وبعد :

يعدُّ الشعر وسيلة من الوسائل المهمة في تخليد الأفكار والأحداث التي تشكل هوية الأمة , وتحدد ملامحها الفكرية والثقافية في إطار الحقبة التاريخية التي ينبثق منها , فضلا عن امتداد الحقب التاريخية التي تسبقه بغية التواصل الأدبي والفكري والتطور الحضاري المشترك بينهما والذي تقرره طبيعة المجتمع , وما تتعرض إليه من أحوال ,ولقد ظفر تراثنا الأدبي العربي الشيعي في القرن السابع الهجري في العراق بشعراء يتمتعون بمواهب شعرية ,بذلوا كل ما بوسعهم على حفظه وصيانته من التلف والدمار, وبرغم الظروف والأحوال السياسية والاجتماعية التي عاشوها فكانوا سببا في نهضته وتخليده , ,أما منهج البحث فقد ساهمت في اختياره عدة اعتبارات , تقف في طليعتها رغبتي الملحة في خدمة التراث الأدبي الشيعي الذي حمل في طياته نضارة مشرقة لا يخفى نورها على الألباب مدى الحقب والأعوام , ولكي تستقيم خطوات البحث كان لزاما الإبحار في كتب الأدب والدواوين والغوص في مكنوناتها, ولما كان البحث يهدف إلى تأويل النص الشعري وجمالية التعبير الفني , فقد اقتضى ذلك أن تكون النماذج الشعرية للكوكبة من شعراء العصر , وقد تناول هذا البحث (ادب الاخوانيات في الشعرالعراقي الشيعي في القرن السابع الهجري دراسة في تأويل النص الشعري وجمالياته), وقام البحث بمقدمة وتمهيد ومباحث عدة , وقد تكفلت جميعها بإبراز دور الشعراء الواضح فيما أسهموه من إبداع وتطور في حركة الشعر العربي ,ثم ختمت هذه الدراسة بخاتمة أوجزت فيها ما توصلت إليه من نتائج ,أهمها :ما مثله شعراء هذه الحقبة الامتداد الطبيعي للشعر العربي في جميع عصوره في المضامين والافكار التي طرقوها ضمن اشعارهم , اذ صور الشعراء في هذا اللون الشعري العلاقات الاجتماعية ومناسباتها المتنوعة, وقد سخر الشعراء مواهبهم وثقافتهم في بث الاحاسيس والمشاعر الصادقة في انتعاش الحركة الأدبية آنذاك .

تمهيد

مفهوم أدب الاخوانيات

لون من الوان (الكتابة الشعرية و النثرية التي تتدرج في اطار المراسلات المتداولة بين الأصدقاء والخّلان، أو في نطاق استحضار طيب العيش معاً، وتذكر أيام الود والهناء، والالتزام بعهودها أو غير ذلك مما يتطارحه المتوادون في مكاتباتهم، ويتوارد على قرائح الشعراء من ذكرى الأصدقاء، أو في مجالس الإحباب)[i].

وأدب الإخوانيات قد يأتي في قصائد مستقلة بذاتها، وهذا نادر في الشعر عامة، وقد يتضمنه مقطع في قصيدة إلا أنه غالب في الرسائل التي تتأثر بمعظم ما جاء منه في العربية، هذا مما جعل أحد الباحثين يرى أنَّ أصل هذا اللون الشعري يعود إلى الرسائل التي يتبادلها الأدباء ثم تطور، وتفرعت منه أنواعاً كالمراسلات والتهاني والمساجلات والفكاهات[ii].

ومن هنا كان لابد لنا عند دراسة ادب الاخوانيات ان نقف عند اهم انواعه, فكانت تلك الانواع في عدة مباحث , وهي كالآتي:

١- المراسلات

٢- الاعتذار

٣- العتاب
٤- التهاني
٥- المساجلات

المبحث الأول

المراسلات:

من الألوان الشعرية التي تدخل ضمن شعر الاخوانيات, المراسلات أو الرسائل الأدبية التي تتم غالباً ما بين الأدباء والكتاب والخّلان وما يكتبونه من رسائل فيما بينهم تحمل الود والحب والشوق وأجمل الذكريات فتجسد صفاء العلائق الأخوية القائمة آنذاك.

ومن الشعراء الذين نظموا في هذا المجال محفوظ بن وشاح[iii] حيث أرسل إلى شيخه وحبيبه المحقق جعفر بن سعيد (٦٦٧هـ)[iv], تلك الرسالة الشعرية, فيقول: (البسيط)

يـــا جعفـــر بـــن ســـعيد يـــا إمـــام الهـــدى ... يـــا واحـــد الـــدهر يـــا مـــن مالـــه ثـــان
أنـــي بحبـــك مغـــرى غيـــر مكتـــرث ... لمـــن يلـــوم وفـــي حبـــك يلمـــاني
فأنـــت ســـيد أهـــل الفضـــل كلهـــم ... لـــم يختلـــف أبـــداً فـــي فضـــلك أثنـــان
فـــي قلبـــك العلـــم مخـــزون بأجمعـــه ... تهـــدي بـــه مـــن ضـــلال كـــل حيـــران

يجلي الشاعر في هذه الرسالة مآثر شيخه وقدوته وحبيبه جعفر بن سعيد، الذي سما بعلمه وحلمه، وحاز مقاماً كريماً علياً, فهو إمام هدى, وأفضل العالمين, وواحد زمانه لا ثاني له, بحر من العطاء، بدر مُضيء بعلمه لكُلَ ضال وحيران، بحر مكتظ باللآلئ وجواهر تدر حكماً روت كل ظمأن وحيران، فملأ قلوب محبيه بحسن خلقه وطلعته البهية في كل محفل، فراحت السنة الخلائق تلهج بالثناء والإجلال، واستبشرت رضواي قد حَللتَ بها فعلتَ فخراً وشموخاً، ويُبيّن الشاعر أنَّ حبه لشيخه يلازمه ملازمة الروح في الجسد، معه في يقظته ونومه، لا يغيب عنه طرفة عين أبدا، وإنْ غاب عنه فقلبه يزداد قلقاً واضطراباً فيجذبه شوقه إليه، ومن فرط حبه إليه، مبتعد عنه لأنه لا يريد أنْ يكرهه أو يمل منه.

ولما وصلت تلك الرسالة إلى المحقق جعفر بن سعيد فأجابه بقوله:

لقـــد وافـــت قصـــائدك الغـــوالي ... تهـــز معـــاطف اللفـــظ الرشـــيق
مضضـــت ختـــامهن فخلـــت أنـــي ... مضضـــت بهـــن عـــن مســـك ســـحيق
وجـــال الطـــرف منهـــا فـــي ريـــاض ... كســـبن بنـــاظر الزهـــر الأنيـــق
فكـــم أبصـــرت مـــن لفـــظ بـــديع ... يـــدل علـــى المعنـــى الـــدقيق[v]
وكـــم شـــاهدت مـــن علـــم خفـــي ... يقـــرب مطلـــب الفضـــل الســـحيق
شـــربت بهـــا كؤوســـا مـــن معـــان ... غنيـــت بشـــربهن عـــن الرحيـــق

نجدُ في هذه الرسالة, أنَّ المحقق جعفر بن سعيد يشيد بالشاعر محفوظ بن وشاح ويجعله النجم المتألق في سماء القريض, لأنه ملأ الأفاق بتغريده وترنيمه، وكانت قصيدته زهراً يانعاً، أحيا به روض الشعراء حتى أزدهى وزان لأن شعره الذي وائم ألفاظ معانيه نكهة باع المسك التي بعثت في الروح نشوة وأضفى على أوزانه من روحه أنغاماً تلونت بألوان الزهر في حدائق ذات بهجة فعطرت أجواءها المسك والعنبر, تجعل النديم يتلقفه لأنغامها العذبة أنَّ الشاعر له قدرة فائقة على الإبداع الأدبي الرفيع في المديح أو غيره من الأغراض فهو شاعر فاق جيله بما أورده من نظم لم يتوصل إليه غيره.

ويبعث علي بن عيسى الاربلي[vi], رسالة إلى الشاعر يوسف ابن زيلاق, إذ يقول: (الطويل)

أمـــولاي لـــو بالغـــتُ فـــي وصـــف لـــوعتي ... وشـــوقي ومـــا أخفيـــه مـــن صـــادق الـــودِ

أعطيـــت أرســـال المقـــال وأصـــبحت فنـــون المعـــاني مـــن عبيـــدي ومـــن جنـــدي
طـــاوعني نظـــم القـــريض وحوكـــه فجئـــت بـــه أزهـــى وأســـنى مـــن العقـــد
ورمـــت بـــه وصـــف الصـــبابة والأســـى لبعـــدكم لـــم أبـــد بعـــض الـــذي عنـــدي
أنشـــدني المـــولى قريضـــا مخُبـــرَّاً آســـال بـــه ســـلك الـــدموع علـــى خـــدي(vii)

يشكر الشاعر أخاه الشاعر يوسف بن زبلاق(viii) بعد أنْ يظهر له صدق مودته وخالص حبه على الرغم من أنه ذو بيان ينطق به شعره، فإنها لم تكن كافية بما يحمل قلبه من محبة وشوق، ويتمنى الشاعر لو تعود به الأيام ويلم الشمل بلقاء الأحبة.

ويرسل التلعفري رسالة إلى الأديب سراج الدين عمر الوراق(ix)، يطلب منه دراعة، إذ يقول:

كالماجـــد المـــولى ســـراج الـــدين والـــدُّ نيـــا الأجـــل المـــنعم المتفضـــل
ذي رتبـــة فـــي الشـــعر عـــن إدراكهـــا يـــنحط مقـــدار الحطيئـــة جـــرول
جـــم الحمـــى مـــا طـــوق فكرتـــه بمشـــ ـــكوك إذا مـــا رام حـــل المشـــكل

يجل الشاعر في هذه الرسالة أخاه الأديب الفاضل، إذ يراه رمزاً من الرموز التي لا يستطيع أنْ يوفيها حقها من المدح والثناء، لأنه يحمل صفات لا يقوى أي شاعر على إحصائها وعدّها من أمثال الحطيئة (جرول) وسواه، كما أنه يظهر مآثر صديقه وأصله العريق الذي تؤهله بأن يكون خير داع ومغيث لطلبه ومساعده, اذ يقول:

أخشـــى ولا أرجـــو مَـــنْ أرجـــو ثُـــرى؟ ليـــت الحمـــام دنـــا إلـــيَّ وحـــمَّ لـــي
ســـمعا ـــ ســـراج الـــدين ـــ دمـــت منعمـــا بســـعادة وعلـــو مجـــد مقبـــل
أرســـلتها متطلبـــا درّاعـــة وبهـــا علـــي أظـــن ان لـــم تبخـــل

يفصح النص الشعري عمق معاناة الشاعر وحالته النفسية المتأزمة فيذكر في إرساله لهذه الرسالة ما وصل اليه حاله من العوز والفقر, بعد أن خابت آماله فلم يجد من يسد احتياجاته وعوزه ممن كان يلتجأ اليهم في مدحهم سواه، طالباً العون منه ويأمل الشاعر بأن لا يردّه خائبا لما يتصف به الاديب (سراج الدين) من حسن خلق وكرم, وأصل طيب.

ويبعث محمد بن بدر البصري(x) رسالة إلى بعض أصدقائه، إذ يقول:

يـــا جـــلاء العـــين إنْ مرهـــتْ ودواء القلـــب إنْ مرضـــا
مـــا الـــذي أثنـــى هـــواك ومـــنْ لـــو كيـــد العهـــد قـــد نقضـــا
....
كـــم ســـقاني مـــن حوادثـــه غصصـــا مـــا هولـــة جرضـــا
فـــابق فـــي شـــهر الصـــيام ودم واقضـــه.. . ومفترضـــا(xi)
بســـعود دائـــم وعـــلاء ومجـــدبالمنى نهضـــا

فالشاعر يكتب لبعض إخوانه تلك الرسالة، وهي مملوءة بالبهجة والسعادة لأنه يكتب إلى صديق مخلص, ربطت بينهما المحبة الخالصة والود والصفاء, ثم نجد الشاعر يتساءل عن غيابه وعدم السؤال عنه والجفاء منه بعدم التواصل والانقطاع، ويبيّن الشاعر أنَّه قد تعرض لحوادث جسام طيلة غيابه عنه, ثم يدعو الشاعر لأخيه بأنْ يكون حليف السعادة والهناء خاليا من الانزعاج والاضطراب والقلق، متماً الصيام على أفضل حال.

ويبعث مهذب الدين الخيمي رسالة لابنه, إذ يقول فيها:

فـــإذا ســـلمت فخـــنهم إنَّ الســـلامة فـــي الخيانـــة

وأفعـــــل كمـــــا فعـــــل ابـــــن ســـــناء الملـــــك فـــــي مـــــال الخزانـــــة[xii]

فالشاعر يكتب لابنه تلك الرسالة المملوءة بالحسرة والألم لابنه إذ إنه أتُهم بالخيانة بوظيفة في أحد الدواوين المصرية، فعوقب بالعصر، لذا فهو يطلب من ولده إنْ سلم منهم أنْ يفعل كما فعل ابن سناء الملك في مال الخزانة[xiii], ويبدو أنَّ كلمات الشاعر تنبض بالألم والحزن على ابنه وفلذة كبده وثمرة فؤاده، مما يزيدُ من ألمه وحسرته أنَّه بعيد عنه.

وكان موفق الدين القاسم من الشعراء الذين يعرفون حقوق الصداقة والمودة إذ يقول في مراسلته التي كتبها إلى صديق له استعمل خاتماً: (المتقارب)

يمينـــــــك تـــــــبغض أموالهـــــــا وتهـــــوى شـــــبا القلـــــب الـــــذابل
فكيـــــــف أســـــــتقربها خـــــــاتم علـــــى كثـــــرة الجـــــود والنائـــــل؟
لقـــــد كـــــان يغـــــرق فـــــي بحرهـــــا ولكنـــــه كـــــان فـــــي الســـــاحل[xiv]

فالشاعر يكتب لأخيه تلك الرسالة، وقد غمرته البهجة والسعادة، لأنه يكتب إلى صديق وفي مخلص ربطت بينهما المحبة الخالصة، ثم نجد الشاعر يسأل أخاه كيف أستقر الخاتم بإصبعه لأنه من أهل الفضل والكرم والجود فيزكي الشاعر صاحبه بهذه الفضائل وبلطف أجواء رسالته بما تحمله من الطرافة، وهو لا يستطيع ان يصف حبه وشوقه له، فبعث له بأحسن ما كتبه.

ومن الطبيعي عندما ترسل الرسائل لا بدَّ من أنْ تقابل هذه السائل بالرد عرفاناً وأمتناناً، ومن ذلك ما نجده عند يوسف ابن زبلاق, إذ يقول: (السريع)

وافـــــى كتـــــابٌ منـــــك وفيتـــــه غايـــــة فضـــــل جـــــلَّ أنْ يحُصـــــرا
حـــــلَّ محـــــل الوصـــــل مـــــن عاشـــــقٍ شـــــرّد عنـــــه الهجـــــر طيـــــب الكـــــرى
تميـــــل فـــــي انشـــــاد الفاظـــــه كمـــــا انمـــــا ضـــــمنّته مسُـــــكرا
زيـــــد مـــــن التقبيـــــل حتـــــى غـــــدت شـــــفاهنا مرقومـــــة أســـــطرا
....
يخبرنـــــا عـــــن مثـــــل اشـــــواقنا أكـــــرم بـــــه مســـــتخبراً مخبـــــرا
يـــــذكرنا العهـــــدُ ولـــــم ننســـــها فيوجـــــب النســـــيان أن نـــــذكرا[xv]

يثني يوسف ابن زيلاق في رسالته هذه على صديقه مجد الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد[xvi]، على ما بعثه من كتاب قد جاوز الحد في الفضل في وصف مشاعر الحب والوجد واللقاء حتى أصبح كالغيث أينما حلَّ نفع، ومن ثم يبين الشاعر شوقه إليه وذكرياته التي عاشاها سوية بأنه قد قبلَّ كتابه تقبيلاً حتى غدت شفتاه مملوءة بما خط من لفظه وعباراته، ويشيد الشاعر ويثني على اعتناء أخيه برسالته وجمال رونقها بأنه لم ير مثلها قط, فقلبه لا يمكن أنْ ينسى صاحبه الوفي وانه على العهد باق على حبه ووده إياه ويتمنى لو تعود تلك الأيام التي قضياها سوية .

المبحث الثاني

الاعتذار:

من الموضوعات التي تدخل ضمن الإخوانيات والتي تبرز نفسية الشاعر وصفاء روحه تجاه إخوانه, حيث يعترف

بالذنب إذا صدر عنه ولا يستنكف من الاعتذار لإخوانه وخلاّنه في المواقف التي تستوجب الاعتذار، ومن ذلك قول ابن زيلاق: (الخفيف)

أنـــا فـــي منزلـــي وقـــد وهـــب اللـــ ـــــــه نـــــديماً وقينـــــة وعقـــــارا
فابســـطوا العـــذر فـــي التـــأخر عـــنكم شـــغل الحلـــي أهلـــه أن يعـــارا(xvii)

نجد الشاعر يقدم اعتذاره لإخوانه بعدم الحضور وتلبية دعوتهم في الذهاب إليهم، ويبين لهم أنه مشغول بهؤلاء الضيوف الذين أقبلوا إليه فجأة، وفي اعتذاره يظهر تقصيره في عبارات كريمة ممزوجة بألفاظ الود والشوق.

ويعتذر أبو عبدالله الواسطي معترفاً بالتقصير لعدم الحضور, إذ يقول: (الوافر)

وعـــــزَّ علـــــي عـــــز الـــــدين ألاَّ أطيـــــق أردُّ عنـــــك الضـــــرُ نفعـــــا
ألســـت أخـــا اليـــد البيضـــاء عنـــدي أقـــرُّ بهـــا ولا أســـتطيع دفعـــا
ومـــــن عمَّـــــت شـــــمائله وطابـــــت لنـــا فزكـــا بهـــا أصـــلاً وفرعـــا(xviii)

يُقدّم الشاعر اعتذاراً في هذه الأبيات, معترفا فيها لأخيه بالتقصير, لعدم الحضور لعيادته بسبب أحداث وقعت, وفي اعتذاره هذا نراه يُظهر تقصيره في الفاظ رقيقة مؤثرة لا تجرح كبرياءه ولا تنقص من اعتدادهِ بنفسه, ويحزُّ في نفسه بأنه لا يستطيع أنْ يقُدُّم له, وما يدفع عنه ذلك الألم سوى أنه يبعث إليه أبياتاً لعلها تخفف ألمه ومرضه.

ويبعث الشاعر اعتذارا محفوفا بالتقصير لعدم تلبية الدعوة, إذ يقول(xix): (البسيط)

إنْ قصـــرت قـــدمي والقلـــب فـــي شـــغل عـــنكم فـــلا حملـــت مـــن فوقهـــا قـــدمي
وان جـــرى قلمـــي والقلـــب فـــي شـــغل عـــنكم فـــلا قبضـــت كفـــي علـــى قلمـــي
تصـــدني عنـــك أحـــوال لهيبتهـــا قلبـــي لهـــا إذن إن حـــدثت بفمـــي

يُقدّم الشاعر في هذه الأبيات اعتذاره لصديقه الذي استدعاه لمجلس شراب ولم يتمكن من الحضور اليه ذاكرا مبررات منعته من تلبية الدعوة للأسباب وقعت له، ومما نلحظ هنا انَّ الشاعر زين اعتذاره بالألفاظ تحمل طابع الدعابة وخفه الروح، ليناسب اعتذاره وينال ود اخيه .

المبحث الثالث

العتاب:

هو من الموضوعات الشعرية التي تدخل ضمن الإخوانيات، وبه تتآلف النفوس، ومعنى أنساني تصفو به المودة بين الإخوان الذين وقعت بينهم خصومة أو جفوة، فيأتي هذا العتاب ليضمد الجراح، ويهدئ النفوس الثائرة، ويلم الشمل وتعود به العلاقة الحميمة بين الإخوان بعد الهجر والجفاء، وتتسامح به النفوس وتصفى, والشعراء الشيعة في العراق قد طرقوا هذا الموضوع وقد جاء عتابهم إما عتاباً شخصياً وإما عتاباً مجسداً لموقف اجتماعي.

أ_ العتاب الاجتماعي:

ومن العتاب الذي يجسد المواقف الاجتماعية الذي جاء في الشعر الشيعي، عتاب الشاعر محمد بن بدر البصري لبعض الصدور الذي قد أنقطع عنه، إذ يقول: (البسيط)

إنْ غبـــتُ عنـــك فـــإني بالـــدُّعا لهـــجُ وبالثنـــاء علـــى عليـــاك معكـــوفُ
وان حضـــرتُ فمـــا أزداد تبصـــرة لأنَّ قلبـــي إلـــى تلقـــاك مصـــروفُ
ألفـــتُ حبـــك إذ أوليتنـــي نعمـــا كُثـــراً ومـــن ولـــي الإحســـان مـــألوف(xx)

فالشاعر يعاتب صديقه الذي كان يتودد إليه بالمعروف والإحسان وقد أنقطع عنه، يذكر الشاعر انه لم ينس الفضل والعطاء من قبله، لذا فهو يلهج بالدعاء له والثناء عليه سواء أكان حاضراً معه أم غائبا وقد غمر حبه قلبه لكثرة عطاياه ,لأنه من أصحاب الأخلاق الكريمة ومن أهل الإحسان. وفي قصيدة له اخرى يعاتب بعض أقاربه, إذ يقول: (الكامل)

شـــرخ الشـــباب مضـــى وريعـــان الصـــبا ... وَلّـــى ومـــا ظفـــرت يـــداي بطائـــلِ
والغانيـــات صـــددن حيـــث رأيننـــي ... غـــرض الحـــوادث والزمـــان المائـــلِ
والأقربـــــون تفرقـــــت آراؤهـــــم ... عنّـــي وصـــدَّ معاشـــري ومواصـــلي(xxi)

يعاتب الشاعر بعض أقاربه الذين يلتفون حوله عندما كان في ريعان شبابه وصباه، ولكن عندما هرم وبلغ به الشيب مبلغه فلم يجدوا اليه ما يقربهم من مال وجاه, تفرقوا من حوله، وينسون ما فعلهُ معهم بالأمس القريب، ومن ثم يدل ذلك على أن الناس يسعون إلى المصلحة الشخصية، ولا ينظرون إلى الأخلاق الكريمة والمبادئ القويمة التي تحث على الترابط الأسري والتودد بين الأقارب والاصدقاء التي تخلو من المصلحة والمنفعة.

ومن الأشياء التي يشتد ويحتد لها عتاب الشاعر محمد بن بدر تلك العيوب الاجتماعية التي أعتاد عليها بعض شراعُ الدولة من ذوي الوظائف الإدارية والتي لا تضمن حق المتقدم للوظيفة إلا إذا كان عنده جاه أو بالمفهوم العامي (الواسطة), إذ يقول: (الطويل)

وقابلـــــتَ مـــــدحي والثنـــــاء بضـــــده ... وجازيـــــت ودّي بالجفـــــاء وبالصـــــدّ
وألفيـــت عنـــي غيـــر مـــا أنـــا فاعـــل ... ولـــم تـــرع لـــي حـــق الـــولاء ولا الـــودّ
ومـــا كنـــتُ لـــولا فـــرط حُبيـــك عـــاجزاً ... عـــن القـــول والعـــذر المبـــين والـــردّ

يعاتب الشاعر خليله الذي تركه وتخلى عنه وهو في أمس الحاجة إليه بعد أنْ سأله ليتشفع له في أمر ضمن تولية تقدمت له في حقه إلى بعض الصدور، لكنه خيب آماله ولم يراع له ود ولا ثناء وقد أذهل الشاعر ذلك الموقف لدى صاحبه ولكنه عاجز عن فعل أي شيء.

ب _ العتاب الشخصي:

ومن العتاب الشخصي عتاب الشاعر شمعلة بن أبي النما(xxii) لابن أخيه عتاباً حزيناً إذ يقول: (الطويل)

علـــيُّ أفتـــرق فينـــا ومـــا شـــئت جـــازني ... مجـــازاة مـــن لـــم يـــرغ حقـــاً لوالـــد
وعـــدّ عـــن الصـــنع الجميـــل وخلنّـــي ... أُكابـــدُ مـــن بلـــواك مـــا لـــم أكابـــد
فقـــد خُيبـــت فيـــك الظنـــون وصُـــدّقت ... مقالـــة مـــن آســـى الله بالمحامـــد
(بنونـــــابنو أبنائنـــــا وبناتنـــــا ... بنـــوهنَّ أبنـــاء الرجـــال الأباعـــد)(xxiii)
أأ

يعاتب الشاعر ابن أخيه عتاباً رقيقاً ممزوجاً بألفاظ التودد والتحبب، فقد آلمه فراقه الذي جاء على حين غفلة، ويذكر أنَّ رحيله عنه إنما هو ناجم عن عدم مجازاته ومراعاته لحوق الوالدين، ومن ثم يبين الشاعر أنَّ ظنونه خابت لأنه أصغى إلى هؤلاء الذين كانوا سبباً في فراقه.

وعاتب الشاعر يوسف بن الحسين الشيباني(xxiv)، صديقه عتاباً أخوياً لطيفاً، حين أنه نزل ضيفاً عنده ووعده بأن يوده ولا ينساه، إذ يقول: (الكامل)

هيهـــــات يُـــــوفي بـــــالمودة راحـــــل ... أرخـــــى عقـــــود الـــــودَّ وهـــــو مقـــــيم
انْ كـــــان أحـــــدث ســـــلوة عـــــن ودنـــــا ... عمـــــداً فـــــأي هـــــوى تـــــراه يشـــــيم
قـــد كنـــت أحســـب أن ســـيبعثه الهـــوى ... نحـــوي ولـــو أنَّ الفـــراق جحـــيم
حتـــى بـــدا الهجـــران منـــه والقلـــى ... وتعـــــذر التســـــال والتســـــليم
لا أمرعـــــت أرض العـــــراق لبعـــــدكما ... أبـــــداً ولا جـــــادت عليـــــه غيـــــومُ(xxv)

يظهر جليا في هذا النص حب الشاعر لأخيه الذي قدم إليه من بلاد الشام وحلَّ عنده ضيفاً معززاً كريماً حبوباً، فيعاتبه عتاباً شفافاً لعدم الوفاء بعهد المودة والمحبة التي كان قد وعده اياه، ولكن الشاعر يبين أنَّه يحفظ كل ما يدينه من مودة وشوق وسلوة عاشاها سوية حتى أنَّه يأمل أنَّ هذا الود والشوق وتلك الأيام السعيدة المبهجة التي عاشاها سوية تكون باعثاً للعودة إليه أو السؤال عنه، أو بعث سلام له، وإنَّه يتساءل كيف أستطاع أنْ ينسى وده ويهجره مع أنه لا يهدأ فؤاده ولا يستريح ببعده عنه، ولا أبهجت أرض العراق ولا أشرقت بعد رحيلكم عنها، فعمَّ الخير مدينة حلب حيث حلَّ به, ولا يفوت الشاعر في هذا العتاب أن يبين طيب أصل صاحبه وفرعه , ويختم الشاعر سلامه إليه سلاماً متواصلاً دائماً مع ديمومة بقائه,ومن فضائل الشعر أنه ينقل إلينا صورة واضحة عن المكان والزمان وهذا ما حدث مع الشاعر حين صور لنا العلاقات الأخوية بين البلدين، وما فيها من علاقات ود ومحبة .

المبحث الرابع

التهاني:

الشعر الذي يهنئ به الصديق صديقه في المناسبات المختلفة.

وشعر التهاني قديم في أدبنا العربي القديم، وموضوعات التهاني تأتي في أشكال، وألوان متعددة، منها التهنئة بحلول العيد أو أحلال شهر جديد، أو العودة من السفر وسلامة الوصول، أو التهنئة بالمولود الجديد، أو الزواج، والختان، أو الحصول على ترقية أو وسام والشعراء الشيعة في العراق في هذه الحقبة أهتموا بهذا الفن الذي يصور العلاقات المبنية على الود والحب ويجسد صفاء تلك العلاقات وروح الالفة فيما بين الاهل والاصدقاء والتي هي على النحو الآتي:

أ- تهاني الأعياد أو حلول شهر جديد:

وذلك مما نجده في تهنئة الشاعر محمد بن علي البغدادي[xxvi] لعمهِ الحسن بن مسعود بعيد الفطر، إذ يقول: (الخفيف)

أسعد الله خدمة المخزن المعـ ... ـمور صدر الورى بعيد الفطور
جعل الله جدّه في صعود ... ثابتاً راسخاً طوال الدهور
ان تكن خدمتي تجل فحسبي ... ذاك ذنب في نأبه التنكير
هو جرمٌ مصحفٌ فاغتفره ... إنْ أولى من كان حقاً عذيري[xxvii]

يهنئ الشاعر عمه الحسن بن مسعود عندما كان مقيما بالحلة مشرف على أعمالها، أيام الناصر لدين الله، ويدعو له بطول البقاء، ودوام السعادة في كل أيامه، صاحب المجد العريق، فقد فاق أقرانه في كثير من أمور الحياة أخذاً طريقه إلى المعالي التي تجعل الإنسان في أعين الناس عظيماً وجيهاً وتكون سيرته معطره في كل زمان، ويظهر الشاعر اعتذاره عن تأخره بإرسال التهنئة له ويحتسبه جرماً بحق عمه الجليل، طالباً منه السماح التي هو أهل لها.

ولعل أفضل ما يقدمه الصديق لصديقه من التهنئة أبيات من الشعر، ومن ذلك ما نجدة عند ابن الخيمي في تهنئته لمجد الدين الحسيني بحلول الشهر، إذ يقول: (الطويل)

ليَهْنَ بكَ الشهر الجديد فإنّما ... بقاؤك في العز الهناء المجددُ
وحسبك مدحاً أنْ تبيتَ وحيدرٌ ... أبوك وأنْ تُضحي وجدُّك أحمدُ
وان تغتدي والعالمون ملوكهم ... وأحرارهم رغماً لبيتك أعبُدُ[xxviii]

يهنئ الشاعر ابن الخيمي النقيب مجد الدين الحسيني[xxix]، بحلول الشهر الذي ابتهجت به الدنيا، ويدعو له بطول البقاء ودوام السعادة في كل أيامه فيجله بذكر نسبه الجليل وحسبه الشريف من آل محمد (عليهم افضل الصلاة والسلام) الذي كان مدعاة لعظم مكانته وعلو شأنه, والتي تجعله في أعين الناس وجيهاً عزيزاً، وتكون سيرته المشرقّة معطرة في كل مكان وزمان، ويظهر الشاعر لمجد الدين انه غير محتاج لإطرائه لقد فاق مدح الله جل جلاله لهم ويقول له انَّ مدحه هو مدعاة للفخر والتودد والتقرب للنبي محمد 9وأهل بيته الكرام , ويدعو له بالسعادة والدوام.

ب - تهاني الوظائف والترقيات:

ومن الأمور التي لفتت أنظار الشعراء، وجعلتهم يقدمون أجمل التهاني شعراً (بهذه المناسبات)، أنّها لاقت رواجاً وقبولاً طيباً وواسعاً بين الناس إذْ إن سريان حبهم في المجتمع بصورة سريعة أجمل وقعاً من جلب هدية مادية، ومن ذلك قول موفق

الدين بن أبي الحديد للشيخ شمس الدين علي بن النيار لمَّا فوّضت إليه (مشيخة الشيوخ) في سنة (٦٤٣هـ)، إذ يقول: (الطويل)

هنـــآن فـــي يـــومين فـــالبر واحـــد ... وبالمنصـــب الـــوفي علـــى الوصـــف واحـــدُ
دُعيـــت بـــه شـــيخ الشـــيوخ وإنّهـــا ... خصيصـــة نفـــس زينتهـــا المحامـــدُ
آتـــاك شـــفاء ثـــم أصـــبحت مثلـــه ... شـــفاء لا رواح لهـــا منـــك واردُ
تعلمهـــا طـــرف النجـــاة وتنتهـــي ... بهـــا حيـــث لا تنحـــل منهـــا العقائـــدُ
فلـــو انَّ صـــنف العابـــدين تجمعـــوا ... لـــديك لقـــالوا: مـــا يضـــاهيك عابـــدُ[xxx]

يقدم الشاعر تهنئته للشيخ شمس الدين علي، ويرى أنَّ الإنسان يرقى في مجتمعه بما يقدمه من فضائل إلى أعلى الذرى، وفضائل الإنسان حلية يتحلى بها في كل زمان ومكان، ويضاف إلى ذلك تعد تلك الفضائل الحصن الحصين للإنسان في حياته إذا قابلته الشدائد والحوادث، ونوائب الدهر، وقد تخضع حوادث الزمان لكل فاضل ويرى الشاعر أنَّه أستحق هذه المشيخة لحسن أخلاقه وشرف أصله وسمو أفعاله، فهو الأجدر به ولا يوجد من يضاهيه في هذا الأمر, ولا غرو أنَّ الشاعر كان موفقاً في اختيار الألفاظ في تلك القصيدة وأكثر من الأسلوب الخبري وكأنه يوجه الكلام إلى متردد ليضفي على كلامه شيئاً من التأكيد والصدق.

ويهنئ الشاعر أسماعيل بن الحسن لتقلده نقابة الطالبيين، إذ يقول: (الكامل)

إنَّ النقابـــة لـــم تـــزل فـــي بيـــتكم ... تختـــار كفـــوءاً مـــن بنـــي المختـــار
أمـــتّ و لـــيس علـــى المناصـــب عـــدّةُ ... فســـما لهـــا ذو ســـؤدد وفخـــار[xxxi]
زالـــت بإســـماعيل منهـــا وحشـــة ... **لفـــراق صـــاحبها العزيـــز الجـــار**
لفـــراقِ ذي الشـــرفين والرجـــل الـــذي ... جمـــع الســـيادة مـــن تقّـــي وفخـــارِ

يقدم الشاعر تهنئته لابن الحسن لتقلده نقابة الطالبيين في سنة (٦٥٤هـ) بعد والده[xxxii]، ويرى أن هذا المنصب الذي لم يخرج من آل المختار، وأنهم أهل له, فقد زينت النقابة اليوم بكم, وجملت بسمو أخلاقكم, وفريد صفاتكم, وحسن اجتهادكم، ويذكر الشاعر أنَّ فراق والده الذي كان يترأس ذلك المنصب أوحش قلوبهم, ولكنه زالت تلك الوحشة بتسلمكم منصبه, ونلحظ في هذه التهنئة التي أطال الشاعر فيها النفس كانت منسجمة مع المناسبة التي قيلت فيها فزاوج الشاعر بألفاظ المدح الولد بالوالد وتهنئتهما بذاك المنصب.

ويهنئ علي بن أسامة العلوي[xxxiii], يوسف بن الجوزي منصبة أستاذيه الدار, إذ يقول:

مـــولاي محـــي الـــدين يـــا مـــولى بـــه ... كـــل البريـــة فـــي الحقيقـــة يقتـــدي
أنـــت المهنـــأ وبالـــذي قـــد خـــوّلا ... ولـــداكَ أم نفـــس العلـــى والســـؤدد
وهـــل البشـــارة للمراتـــب والـــذي ... وليـــاه أم لـــك يـــا كـــرم المحتـــد
قـــد قلـــت حـــين رأيـــت كـــلا منهمـــا ... كالبـــدر فـــي جـــنح الظـــلام الأســـود

يقدم الشاعر تهنئته لمحي الدين يوسف بن الجوزي لتوليه منصب (أستاذ الدار) في التاسع من ربيع الأول سنة (٦٤٣هـ) في عهد خلافة المستعصم العباسي، وقد رتب ولده جمال الدين عبد الرحمن مدرساً لطائفة الحنابلة بها، وأخاه شرف الدين عبد الله محاسباً للدار ويزفّ إليه أجمل التهاني وأحلى الأماني لهذه المناسبات التي هلت عليه وعلى ولديه الذين ورثا المكارم والعلا عن أبيهما وجدهما، ويزف بشرى هذه المراتب والمناصب لهما ولوالديهما، ومن ثم يرى الشاعر أنَّ الإنسان يرقى في مجتمعه بما يقدمه من فضائل إلى أعلى الذرى, فهما لم يسعيا إلى تلك المناصب, وإنما المناصب هي التي أتت نحوهما ,لأنهما أهل لها بما تحليا من مكارم وفضائل ويبرز الشاعر ما وصلا إليه من علم وفقه جعلتهما ممن لهما الفضل في إرساء مفاهيم الدين الإسلامي والفقه الحنبلي، ويختم الشاعر رسالته بالدعاء لهم بالخير والعيش الرغيد، متمنيا لهما التوفيق لجهودهما, وفي هذه الأبيات جاء الشاعر بألفاظ رشيقة لتلائم جو الفرحة عند الشاعر.

جـ ـ تهاني سلامة الوصول من السفر:

ومن الأمور التي لفتت أنظار الشعراء، وجعلتهم يقدمون أجمل التهاني ومن ذلك قول ابن أبي الحديد لشرف الدين معد الموسوي: (الكامل)

أزيـــــــارة أم حجـــــــة مبـــــــرورة قضـــيت يـــا ملكـــا عظيمـــا شـــأنه
لـــو يســـتطيع القبـــر حـــين وقفـــت فـــي عرصـــاته أثنـــى عليـــك لســـانه
ويكـــاد يســـتلم الضـــريح يـــديك الـــ ـــزاما فينشـــر عرفّهـــا عرفانـــه
ورد البشـــير إليـــه أنـــك زائـــره فهللـــت لســـروره جدرانـــه(xxxiv)

يقدم الشاعر تلك التهنئة لشرف الدين معد الموسوي لقدومه من زيارة بعض المشاهد التي حققت أملاً منشوداً، وبالترفيه عن النفس التي سئمت وكلّت من العمل الكبير المتواصل، وقد عاد من السفر فتجدد النشاط وأمتلأ وجهه بالبهجة والسعادة والأنوار، ويبين الشاعر أنَّ تلك الزيارة تقبلها الباري (عز وجل) لأنه يقبل من المحسنين والمجتهدين ، ويرى أنَّ القبر الذي لامسته يديك لو كان ينطق لأثنى عليك شكراً وعرفاناً، بيد ان جدرانه التي تحويه قد استبشرت فرحاً وسروراً بزيارتك إياه.

ويلحظ أنَّ هذه التهنئة أظهر فيها الشاعر مراعاة لمقام شرف الدين معد الموسوي فمزج مدحه وتهنئته بما يتصل بمنصبه وعمله في ظل الدولة الحاكمة آنذاك فجاءت الألفاظ ملائمة المعاني التي أراد الشاعر أن يظهرها في هذه القصيدة وهذا يدل تميز الشاعر بحسن اختياره لألفاظه.

المبحث الخامس

المساجلات:

تدخل المساجلات ضمن المراسلات الشعرية, أو كما يطلق عليها بعضهم المطارحات التي يكون تبادل الرسائل الشعرية بين شاعرين، تربط بينهما مودة ومحبة، تتبلور عند كليهما بشعر جميل عذب يحرص فيها كل منهما على أن يتفق مع صاحبه في البحر، والقافية، والروي، فيكون من ذلك مساجلات لطيفة، لا سيما إذا كانت المساجلة من ناحية خاصة، أو صفة يعيشها بين الشاعرين، بحيث يجعل منها مادة للتجديد بين المعاني، وتوليد الصور، وأرسال المداعبات، وآية ذلك ما نجده عند شعراء الشيعة, وقد جاء فيها:

أ- الدعابة:

إذا تأملنا المساجلات نجد أنَّ الدعابة قد أخذت نصيباً منه، وهذا يكشف عن روح المرح، ومن ذلك مداعبة الشاعر محمد بن شعيب البصري إلى الشرف عبد الصمد محمد بن المجلى النصبي, إذ يقول: (البسيط)

لـــك مـــا شـــرف الـــدين [الـــذي] شـــرفت أفعالـــه فهـــو حـــال بالثنـــا كاســـي
مـــا إن رأيـــتُ علـــى إفـــراط تجربتُـــي للنـــاس أكـــرم طبعـــاً منـــه فـــي النـــاس

فعندما أكمل الشاعر قصيدته رد الشرف عبد الصمد بن محمد بقوله: (البسيط)

ســوى مكــارم شــمس الــدين مــن ظهــرت أنـــواره فهـــي فينـــا ضـــوء مقيـــاس
ومـــن غـــدا نظمـــه مـــن لطـــف صـــنعته أشـهى إلـى الـروح مـن مشـمولة الكـأس(xxxv)

وهذه الدعابة تكشف عن طبيعة المجتمع المرحة التي تسوق أحيانا ,الجد في صورة المرح لكي يصل إلى ما ترجوه، وتتمناه في صورة لا تجرح الشعور، ولا الإحساس، بل تحافظ على الحب بين الإخوان، والأصدقاء ليظل باقياً مدى الأيام والسنين دور تغير.

ب **- التقريظ:**

من الموضوعات التي كثرت في أدبنا العربي، لأنها تبرز العلاقة الحميمة بين الأصدقاء، وإذا تأملنا المساجلات في الشعر الشيعي نجد أنَّ التقريظ من الموضوعات التي جاءت بارزة في المساجلات، ومن ذلك قول الشاعر ابن الحلاوُي كتبه إلى محي الدين يوسف بن زيلاق الكاتب وقد آذاه فرس بحافره: (الوافر)

فبـــابي منـــذ خفـــت عليـــك بـــال وحـــالي مـــن مصـــابك غيـــرُ حـــالي(xxxvi)
ورحـــت ويبـــتُ فكـــري فـــي اشـــتغال عليـــك ونـــار قلبـــي فـــي اشـــتعال
وأقســـم مـــا برحلّـــك نيـــل طـــرفٌ وذهـــن ظـــنَّ ذلـــك فـــي ضـــلالِ
ولكـــن داس أخُمصـــها الثريّـــا وجـــاز مـــدى الكواكـــب فـــي المعـــالي

فهذه القصيدة جاءت مليئة بالعواطف الجياشة، لأنها جاءت من أخ محب لأخيه وصديقه، وقد رد الشاعر ابن زبلاق ردا سريعا قائلا: (الوافر)

أأحمـــــدُ إنَّ مجـــــدك حيـــــث أهْـــــوى ... علـــــيّ عـــــن نظيـــــر أو مثـــــالِ
فمـــــا أرْجـــــو مـــــن الرَّحمـــــان شـــــيئاً ... ســـــوى أنـــــي أراك رخـــــي بـــــالِ
مُعـــــافىَ الجســـــم مكبـــــوت الأعـــــادي ... مُـــــوَقى مـــــن معانـــــدة الليـــــالي

وهذا الردّ جاء مشحوناً بالعواطف الجياشة، وبحرارة الإيمان والإخلاص للشاعر ابن زيلاق، ورجع ذلك الى أنَّ العلاقة التي ربطت بينهما جاءت مبنية على الحب الخالص لله (تعالى) فأثمرت وآتت أُكلها حيث ترى الحب يتجلى في الألفاظ التي أختارها الشاعر، وفي المعاني التي تحويها تلك الألفاظ بين دفتيها، فأصبحت القصيدة بمثابة المنظومة التي تعبر عن مدى الترابط الأخوي، والحب الخالص البعيد عن النفاق، والريّاء، والمداهنة التي كثرت من أجل المصالح الشخصية.

حـ ـ الاستعطاف والتعزية:

ان الاستعطاف جاء كثيراً في المساجلات، لأنه يصور أحوال الشعراء، وطبائعهم، وما يعتور نفوسهم الوفية، وما يسيطر على شعورهم من ألم حينما يتعرض أحدهما كحادث حل حوادث الزمان، فكان لزاماً على الطرف الأخر ان يقابل ذلك العرفان والجميل بالشكر والامتنان، بأعذب الألفاظ وأرق العبارات، وذلك ما نجده عند التلعفري يشكر ابن امسينا الطغرائي إذ يقول: (الخفيف)

ســـــيدي مـــــا يطيـــــق عبـــــدك يشـــــكو ... مـــــا يقاســـــي مـــــن فـــــرط وجـــــد وســـــقم
مُـــــذ تـــــولى (نجمـــــي) علمـــــت بـــــأني ... هـــــابط فـــــي جميـــــع أمـــــري ونجمـــــي(xxxvii)
الليـــــالي عنـــــدي ظـــــلام وظلـــــم ... بعـــــد ذاك اللمـــــى وذاك الظلـــــم
فجـــــزاك الإلـــــه عنـــــي خيرامـــــ ... لـــــم تـــــزل كيـــــف كنـــــت تحمـــــل همـــــي

يشكر الشاعر أخاه ابن امسينا الطغرائي لوقوفه الى جانبه في محنته التي نغصت عليه حياته ليلا ونهارا، بعد أن فارقه من يهواه, فجيبه النجم فقد سافر من القاهرة وتركه هائماً قد أضناه فراقه، وأظلمت حياته بعد ان كانت زاهية به, ويختم رسالته بالدعاء لهذا الصديق الوفي الذي شاركه حزنه ومواساته وتعزيته مخففاً عنه ذلك الهم.

ويقول الطغرائي في الرسالة التي بعثها للتلعفري استعطافاً وتخفيفاً لهمه وحزنه على الفراق:

يـــــا خليلـــــي حـــــدثاني بعلـــــم ... كيـــــف حـــــال (الشـــــهاب) بعـــــد (الـــــنجم)؟
واقصصـــــالي حديثـــــه فقـــــد قـــــل ... اصـــــطباري وزاد فكـــــري وهمـــــي
فمـــــن المســـــتحيل بعـــــد رواح الـــــرّ ... وح عنـــــد الـــــورى بقـــــاء الجســـــم
ثـــــم قـــــولا لـــــه مقـــــال أخ بـــــ ... ـــــر شـــــفيق بغيـــــر ظـــــن ووهـــــم

ففي هذه القصيدة التي جاءت مليئة بالعواطف الجياشة، نقلت إلينا نفسية الشاعر وصفاء روحه وما يعتور نفسهُ الوفية من الود الصادق تجاه أخيه، ويطلب منه ان يصبر ويتجلد ولا يجزع مما أصابه وسوف يأتي اليوم الذي يذهب عنه ألمه، ويختم قصيدته بما يقدمه له من نصيحة والدعاء له بأن ينفرج همه ويكون على أحسن حال.

الخاتمة

اتسمت خاتمة البحث نتائج اهمها:

١ ـ وجدنا أنَّ المراسلات التي أرسلها الشعراء إلى إخوانهم تصور ودهم وتحمل أشواقهم وذكرياتهم، يضاف إلى ذلك تعبر عن طبائعهم، وتجسد صفاء وإخلاص العلاقات الأخوية الصادقة التي تربطهم بمن يحبون، وقد أظهرها الشعراء للقارئ

في صورة طريفة تمتع العيون, وتجذب اليه النفوس, من خلال الصور الشعرية في رسمها، وطريقة نظمها وسلاسة أسلوبها، وتأنق عباراتها وجمال ألفاظها وخفتها.

٢- وهكذا رأينا صوراً من اعتذارات الشعراء، أبرزت لنا نفسيتهم وصفاء روحهم تجاه إخوانهم، بيد أنَّهم لا يجدون حرجاً ولا ضيقاً في الاعتذار لإخوانهم إذا صدر عنهم موقف يتطلب الاعتذار.

٣- المساجلات جاءت في الشعر الشيعي تعبر عن مدى الترابط بين الإخوان والأصدقاء بصورة طريفة تمتع السامعين والقراء بذلك الأدب الذي يحمل بين دفتيه مكارم الأخلاق, وصفاء الروح الذي يبعث على الود والتآلف بين الناس.

٤- صور هذا اللون من الشعر العلاقات الاجتماعية ومناسباتها المتنوعة, وعبر فيه الشعراء عن انفعالاتهم واحاسيسهم وفقا لطبيعة المناسبة وظرفها, وتناول فيه الشعراء الموضوعات التي تعبر عن واقع حياتهم وبيئتهم بأسلوب رائع وصياغة محكمة وتفنن في الصنعة , وتأنق اللفظة وسلاسة التعبير, ودقة المعنى.

٥ - وان تفاوتت قرائح الشعراء بنظمه الا أنه توحدت أفكارهم وصبت في قوالب متشابهة من التأدب في الخطاب , والتأنق في اختيار الألفاظ واللياقة بالكلام, مما جعلت شعرهم يمتع السامعين له, ويشوق القراء اليه, ويجتذب القلوب نحوه, ومن هنا يحق لنا أن نقول عن هؤلاء النخبة من الشعراء أنهم مدعاة فخر واعتزاز وارث ثقافي يتباهى به الاجيال.

الهوامش

([i]) المعجم المفصل في اللغة والأدب١: ٤٥.

([ii]) ينظر: الأدب العربي في العصر الوسيط: ٩٠.

([iii]) محفوظ بن وشاح بن محمد الاسدي, شمس الدين, أبو محمد ,من أعيان العلماء في عصره, جمع بين فضيلتي العلم والأدب, فقهيا وعلما وأديبا, ينظر ترجمته: أمل الآمل ٢ /٢٢٩, موسوعة الغدير٥ /٣٣٧ .

([iv]) أورد صاحب الطليعة هذه القصيدة وفيها بعض الاختلاف, ينظر الطليعة من شعراء الشيعة ١٧٤/٢.

([v]) شعراء الحلة أو البابليات ٢٠٨/١، معجم شعراء الشيعة ٢٧٨/٦.

([vi]) علي بن عيسى بن أبي الفتح بهاء الدين ,ابو الحسن الاربلي , ولد باربل في حدود سنتي (٦٢٠ – ٦٢٥ ه), كان عالما فاضلا, محدثا ثقة, شاعرا أديبا, منشئا جامعا للفضائل والمحاسن, له مؤلفات كثيرة منها(كشف الغمة في معرفة الأئمة, رسالة الطيف, ديوان شعر, ينظر ترجمة الشاعر: شذرات الذهب ٥ /٣٨٣, فوات الوفيلت ٢ /٨٣ .

([vii]) الديوان: ٥٣.

([viii]) يوسف بن يوسف بن سلامة بن إبراهيم بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان بن محمد الفأفاء الزيني بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب الكاتب المعروف بابن زبلاق, ولد بالموصل سنة (٦٠٣ ه), واصله من تليعفر, تولى كتابة الإنشاء بدولة بدرالدين لؤلؤبن عبدالله ـ صاحب الموصل ـ, مات شهيدا على يد التتر سنة (٦٥٦ ه), جمع شعره وحققه د. محمود عبدالرزاق أحمد, ود. ادهم حمادي ذياب النعيمي بعنوان (ديوان الشهيد ابن زبلاق الموصلي) ط بغداد ١٩٩٠م, ثم جمع شعره وحققه واستدرك على الديوان الأستاذ عباس هاني الجراح, ينظر ترجمته فضلا عما سبق: التذكرة الفخرية/٨٠ ـ ١٠٧, مرآة الزمان٥١٣/١ ـ١٨١/٥٢٣,٢ـ١٨٦ .

([ix]) هو عمر بن محمد بن حسن سراج الدين الوراق الشاعر المشهور و(الأديب المذكور (ت ٦٩٥) ينظر: فوات الوفيات ٨٤٠/٣,النجوم الزاهرة ٨٣/٨، شذرات الذهب ١٠١/٦, التلعفري : محمد بن يوسف الشيباني ولد(٥٩٣ه) بالموصل, وله ديوان شعر مطبوع, ينظر: ترجمته الديوان (المقدمة).

([x]) محمد بن بدر بن الحسين بن مقبل بن السمين, أبو الفرج بن أبي النجم الليلي البصري, ولد سنة ٥٨٤ ه, بقرية تدعى قرية فاطمة, فوق قرية تسمى الشرطة, من إعمال واسط, ونشا بالعقر, قرية بنواحي البصرة, ينظر: قلائد الجمان ٧ /١٦٤.

([xi]) هكذا أورده ابن الشعار، ينظر: قلائد الجمان: مج٦, ج٧: ١٦٤. ١٦٥.

([xii]) تاريخ الحلة ٧١/٢.

([xiii]) يذكر: لما شاعت هذه الأبيات في الأندية والمجالس، مسك بنو سناء الملك وصودرت أموالهم، ينظر: تاريخ الحلة ٧١/٢.

([xiv]) عجز البيت للمتنبي وصدره ويراد من القلب نسيانكم ينظر: موفق الدين القاسم : ٨٥.
([xv]) قلائد الجمان: مج٨,ج٣١٧/١٠.
([xvi]) محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر، أبو عبدالله ولد باربل سنة (٦٠٢هـ)، وتوفي بدمشق المدرسة القيمازية (سنة ٦٧٧هـ) كان إماماً في علم الأدب ونقد الشعر وله اليد الطولى في النظم وكان فقيها جيداً.
ينظر: ترجمته في مرآة الزمان ٣٨٦/٣.
([xvii]) يوسف ابن زيلاق (حياته وشعره): ١٠٧.
القينة: الجارية المغنية.
يعارا: ورد في رسالة الطيف (صديقا).
([xviii]) قلائد الجمان:مج٦,ج٧٩/٧-٨٠.
([xix]) نفسه.
([xx]) قلائد الجمان: مج٦,ج٧ /١٦٤-١٦٥.
([xxi]) قلائد الجمان: مج٦,ج٧ /١٦٤-١٦٥.
([xxii]) شمعلة بن أبي النما , ابو محمد الواسطي ,من قرية من أعمال واسط , تدعى نهفة , وقيل من مركوزي ,وكلاهما من الأعمال الواسطية ,كان رئيس قريته وشيخها ,شاعرا متأدبا ,جيد الروية ,مطبوع الشعر ,ينظر: قلائد الجمان ٣ /١١٤.
(xxiii) قلائد الجمان: مج٢ ,ج٣: ١١٦ .
(xxiv) يوسف بن الحسين بن يوسف بن أبي نصر بن حماد بن العتائقي ,أبو المظفر الشيباني , ولد بالحلة سنة ٥٩٥ هـ, ينظر: قلائد الجمان١٠ /٢٠٧.
([xxv]) قلائد الجمان: مج٨,ج٢٠٨/١٠.
([xxvi]) محمد بن علي بن مسعود بن علي بن مسعود بن هبة الله بن خليد, أبو الفرج بن أبي الحسن البغدادي, ولد سنة ٥٦٥هـ, ببغداد, من بيت أشتهر بالعلم, ومن أهل الفضل والتصرف في الأعمال والرئاسة, توفي سنة ٦٢٧هـ, ينظر: قلائد الجمان١٣٥/٦.
([xxvii]) قلائد الجمان: مج٥,ج١٣٥/٦.
([xxviii]) قلائد الجمان:مج٢,ج١٦١/٣-١٦٢.
([xxix]) النقيب مجد الدين أبي جعفر أحمد بن زيد بن عبيد الله الحسيني الموصلي.
([xxx]) توفي الحسن ابن المختار في سنه (٦٥٣) ينظر: العسجد المسبوك /٦١٢.
([xxxi]) شعراء الحلة أو البابليات ٣٦٢/٣-٣٦٣.
([xxxii]) آمتّ: في الأصل: (أامت) وشك فيها المحقق ولم يعرف صوابها، والصواب ما أثبتاه وتعني التي لا زوج لها، ينظر: موفق الدين (الهامش) ٦٠١.
([xxxiii]) علي بن أسامة بن الحسن بن هبة الله الحسيني العلوي, عز الدين, أبو الحسن, من عقب زيد الشهيد (ع), من بيت أسامة العلويين الساكنين في الحلة المزيدية, احد المتصرفين بالأعمال, شاعرا كبيرا, وفي سنة ٦٥٤ هـ, ينظر: البابليات٦١/١, شعراء الحلة أو البابليات٣٦٢/٣,
([xxxiv]) قلائد الجمان: مج٣,ج١٨٠/٤-١٨١.
([xxxv]) قلائد الجمان: مج٦,ج١٣١/٧.
([xxxvi]) قلائد الجمان: مج١,ج١٣١/١.
([xxxvii]) الديوان: ١٥٤-١٥٥

المصادر والمراجع

- الأدب العربي في العصر الوسيط من زوال الدولة العباسية حتى بدء النهضة الحديثة, د. ناظم رشيد, دار الكتب للطباعة والنشر, جامعة الموصل, ١٩٩٢م.
- أمل الآمل, الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ), تحقيق السيد أحمد الحسيني, مكتبة الأندلس, بغداد, ط١, ١٣٨٥ هـ.
- البابليات, محمد علي اليعقوبي, مطبعة الزهراء, النجف,١٩٦٥ م.
- تاريخ الحلة, الشيخ يوسف كركوش الحلي, المطبعة الحيدرية, النجف الأشرف,١٩٦٥.
- التذكرة الفخرية, للاربلي, الصاحب بهاء الدين المنشئ علي بن عيسى الاربلي (ت٦٩٢هـ), تحقيق د. نوري حمودي القيسي, د. حاتم صالح الضامن, مطبعة المجمع العلمي العراقي, بغداد, ١٩٨٤ م.
- ديوان التلعفري, محمد بن يوسف بن مسعود التلعفري الشيباني, حققه وقدم له: د. رضا رجب, دار الينابيع, دمشق, ط٢, ٢٠٠٤ م.
- ديوان الصاحب بهاء الدين علي بن عيسى الاربلي (ت ٦٩٢ هـ),صنعة وتحقيق :كامل سلمان الجبوري, دار الينابيع, دمشق, ط١, ٢٠٠٦ م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب, ابن العماد الحنبلي, أبو الفلاح عبد الحي دار الكتب العلمية, بيروت,١٩٧٩ م.
- شعراء الحلة أو البابليات,,علي الخاقاني, المطبعة الحيدرية ,النجف الأشرف,١٩٥٢ م.
- الطليعة من شعراء الشيعة, الشيخ محمد السماوي (ت ١٣٧٠ هـ),تحقيق كامل سلمان الجبوري, دار المؤرخ العربي, بيروت – لبنان, ط١, ٢٠٠١ م.

- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك, الملك الأشرف إسماعيل ابن عباس الغساني حققه شاكر محمود عبد المنعم, دار التراث الإسلامي, بيروت ١٩٧٥م.
- فوات الوفيات, محمد بن شاكر الكتبي, تحقيق: د. إحسان عباس, بيروت, ١٩٧٣ م.
- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان, ابن الشعار الموصلي(ت٦٥٤ هـ), تحقيق: د. كامل سلمان الجبوري, دار الكتب العلمية, بيروت, ط١, ٢٠٠٥ م.
- كشف الغمة في معرفة الأئمة, علي بن عيسى الاربلي, طبع دار الطباعة, الأستاذ حسين الطهراني ١٢٩٤هـ, الحاج مير محمد صادق الخوانساري, الطبعة الحجرية.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان, شمس الدين ابو المظفر, الشهير سبط ابن الجوزي, مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد, الهند,ط١, ١٩٥١م.
- المعجم المفصل في اللغة والأدب, د. أميل بديع, ود. ميثال عاصي, ناب مصطفوي, مطبعة ستارة, ط١, ١٤٣٢هـ
- معجم شعراء الشيعة, عبد الرحيم الشيخ محمد العزاوي, مؤسسة الكاتب, بيروت, لبنان.

- موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب, عبد الحسين أحمد الاميني, دار الكتاب العربي, بيروت, ١٩٦٧ م.
- موفق الدين القاسم (حياته وشعره),عباس هاني الجراح, دارالينابيع,دمشق,ط١, ٢٠٠٦م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة, ابن تغري بردي, مطبعة دار الكتب المصرية, القاهرة, ١٩٣٦ م.

المجلات والدوريات

- ديوان شمس الدين الكوفي, شعر شمس الدين محمد بن أحمد الهاشمي الكوفي جمع ـ ودراسة, د. حسين عبد العالي اللهيبي, مركز دراسات الكوفة ,العدد(١٥).
- يوسف ابن زبلاق الموصلي (ت ٦٦٠ هـ) حياته وشعره, تحقيق د. كامل سلمان الجبوري, مجلة الذخائر العددان(١٩ و ٢٠), السنة الخامسة,٢٠٠٤ م.